

نقشتا مصدور و بخت

الجهل أبو الشقاء والجهالة أمه

« مونتاین الفرناوي »

ما خلوت الى نفسي أناجيها ، الا وأدعم بالاصابع رأساً أثقله الغم ،
وألفه الهم ،

ولو كان همٌ واحد لا حتمته ولكنهُ همٌ وثاني وثالثُ
وما قبضت على اليراع الا واحيت على القرطاس ظهرَ من عجمت
عوده الطوائح ، فغادرته بين صبية يتضورون جوعاً ، وبنيات يقضين جوعاً
فذا حظي من الدنيا فدعني لا تزد غماً

في الغرب قومٌ اذا ضلّ اهلوه شرعواهم ، وان ظلمت حكاهم
صرموهم ، ينهضونه اذا قعد ، ويقعدونه اذا نهض ، لا خيل عندهم ولا
سلاح الا اقلام مذلّة اذا امتطوا صهواتها ومرّوا بها على القراطيس كان
لها صرير ردّد صداد المغربان ، وضجّ لدويه المشرقان ، وهي اذا غمزت
الدواة ، واصابت منها المداد ، حقنت دماء ، وهدرت دماء ، فهي جامعة
الضدين ، وموفقة النقيضين ، هي الحرب والسلام ، والخوف والامان ،
واللين والقسوة ، والحق والقوة ، لا تخاف في الحق لومة لائم ، ولا تلبس
الحق بالباطل ، جالت الجولة اثر الجولة ، فرأيناها في كل عصر ودولة ،
تتمخض لتلد الحرية والاستقلال ، وهما التوأمين العزيزان

أما الآن فقد اينعت ازهارها ، ونضجت اثمارها ، وغدا تراها تبرا ،

وماؤها نَميراً ، وارضها تدرُّ من طيبات الرزق لبناً وعسلاً
 ما هوغو وفولتير ، وغوركى وتواستوي ، ودانتي وشكسبير ، ونيوتن
 وواشنطن ، والميكادو وميلتون ، الا من نوادر القرون ، وعجائب البطون ،
 رأوا بلادهم تتراوح بين الانغماء والموات ، وتتضاءل تحت اغشية الوهم
 والتقاليد ، فبرزوا الى ميدان التحرير وأثاروا حرباً عقدت الاقلام عجاجها ،
 وادارت الافهام ثفالها ، وما هي الا لحظة حتى اجرت في مرهفات الصوارم
 رونقاً انعكس وميضه ، واضاء ما حوله ، فالتقى السيف بالقلم ، والشجاعة
 بالشهم ، وان هي الا جملة من حملات الاصلاح حتى نكست اعلام الجهل
 وعاد اعوانه يتسكعون في ديجور الظلمات ، وما دروا انهم « يعملون اصابعهم
 في اذانهم من الصواعق حذر الموت » فكان ما كان من ذلك الانقلاب
 الكبير الذي اجهز على حياة الاستبداديين ، نقى الدين والسياسة من
 غطارفة المستبدين ، وغطارسة المستأثرين ، بعد ان لاقى الغرب الامرئين ،
 ان هؤلاء المظما هم عقل بلادهم ، وروحها ، وسيفها
 اطلقوها من اسرها ، وفكوا عنها قيودها ، وعضدوها بعد سقوطها
 واحيوها بعد موتها ، وسلكوا بها في مهب النور والهدى
 ليس المرة باصغريه فقط ، انما هو باكبويه ايضاً ؛ القلب واللسان ،
 والهمة والحسام . فالاولان يتميززان بالآخرين ، ولا غنى للآخرين
 عن الاولين . ما أشد يا شرق ما يتحدث الغرب بفضل رجاله ، وما أشد
 يا غرب ما يغمط الشرق ايادي ادبائه ، هؤلاء في شرقهم يشقون ، واوائلك
 في غربهم يسهلون !

اي رباه ! قبسة من اضوائك ، ونظرة من سمائك ، تشمل هذا الشرق فتدراً عنه سوء الشبهات ، وتكفيه شرّ النكبات ، وتصدّ عنه زلقات فوضى الاقلام ، وزلاّت خفاف الاحلام ، أيسام سوء العذاب ويحطه الخسف من أعلى عليين ، وهو مهبط الوحي ، ومهد الانبياء . . .
ايكون مسرح الترهات وملعب الخزعبلات ومنه نشأ العلماء وفيه اول ما تغنى الشعراء . . . اين الرشيد والمنصور ينظران ما صارت اليه بغداد وما انتجته لها مثقلات الليالي . ان الرازي وابا العلاء يتألمان في مراقدهما عند ما يسمعان الرصافي ينوح هتوفاً على نضارة بغداد ويحرق الارم على مجدها الطارف ، وسؤددتها التالد ، ولا سيما حينما يقول :

ايا سائلاً عنا ببغداد اننا بهائم في بغداد اعوزها التبت
علت امة الغرب السماء واشرفت علينا فظلمنا ننظر القوم من تحت
ما عهدنا القوم والله يبيتون على الطوى ، ويغمضون على الجوى ،
وهم أباة الضيم القائلون النار ولا العار ، والحلف ولا الاقامة على الخسف ،
والحرّة تجوع ولا تأكل بشديها

أيخفُ ابناء الشرق اليوم الى شرب الكأس التي شرب بها عظماء
اجدادهم ، فيعيدون اليه سابق اخضلاله في عهد الحضارة الاندلسية
ويحيون رسماً لم يمف دارسه من قنطرة الوادي ، ومكتبة الاسكندرية . .
نحن يا قوم أحوج الى التهضات منا الى التفنن في اساليب التفرّق
والشتات ، فانهضوا نهوض الغرب ، وقفوا في الربوع وقفه خبير بمواقع
الخلل ، وتعاونوا ولا تفرّقوا ، « فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة » . . .

في البلاد العربية نهضة شريفة ستكون مقدمة من مقدمات الإصلاح في الشرق ، وخطوة واسعة في ميدان الارتقاء ، بل هي إحدى طوابع الحركة الفكرية . وسوف تلعب دوراً يخلد لها حسن الذكر على صفحات الانسانية البيضاء . ولكن لم يشترك في هذه النهضة إلا أفراد قليلون وهناك الكثيرون ذهب الجهل الذميمة بعقولهم ، وختم على قلوبهم ، واضلهم عن التهجج السوي ، وما هم الا ليعيشوا فساداً « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون »

... كآني برحالة الفرنجة اذا امّ بلادنا ، ورأى الخول نافضاً غباره على احيائنا ، يقول متمثلاً بحليم مصر وهو ذاهب الى السودان ليشغل إحدى وظائف الجيش فيه :

تيمت أرضاً تدبُّ الجهالة فيها ديب الصبا في الروابي
اذا حدثت القوم فيها اديبٌ يخالونه اعجمي الخطاب
اي عاقل لا يسمع هذه المجازفة - وهي الحقيقة - ولا يرثي لحالة
قطر يضيق بأهليه ، وينفر زائريه ؟

*
* *

فيل للفيلسوف : ممن تعلّمت الادب ؟ قال من قليل الادب ، وهو قول مأثور سبقنا الى ادراكه الغرب يوم كبا فرسنا في ميدان السمي والعهد ليس ببعيد ، فما احرانا باليقظة اليوم ، بعد عميق رقودنا ، فتمحو اهانة لحقت بنا ، ووصمة وُسّمت بها ، ولا غضاضة علينا اذا اعترفنا بقول

الفيلسوف ، فإن من لم تعظه نفسه كلت فيه المواعظ
والنفس لا ترجع عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر
... نساء القرن العشرين في الغرب يتمتعن بحقوق لم يخولها القرن
العشرون لرجال الشرق . قال نابوليون : « اذا اردت ان تعرف رقي كل
امة فانظر الى نساها » فماذا عسى ان يبلغ هذا القلم من وصف حالة النساء
في الشرق وقد

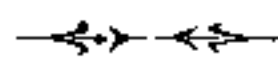
حجبناهن عن طلب المعالي فعشن بجهلهن مهتكات
فيا شوقيون كفانا ما فات ، وحسبنا ما تمضنا هذه النكبات ، فكأن
من اوانس كاتبات ، وغيد شاعرات ، وخود ممرضات ، واديبات
مبرزات ، نشان منكن يا شقيقات ...

* *

هذا يم خاضت فيه من قبل اقلام وسبحت عقول ، وما انا بالجلاني
علي نفسي بالخوض في خضمه ، والاحاطة بأطرافه ، والامر ظاهر للعيان
غني عن البيان ، فأنحطاط الشرق لأنحطاط بناته ، وجمود فتاته ، وعلى
تهذيبها يتوقف ارتقاؤه ، فهي داؤه ودواؤه
وتلك نفثة مصدور لو لم يضق الخناق ، وتبلغ الروح التراق
لكسرت القلم قبل ان ابوح بها ، والسلام

اسكندر الخوري

بيت جالا



العمال في الهيئة الاجتماعية

كتبنا في صدر الجزء التاسع الماضي مقالةً عن العمال والحكومات بمناسبة الاعتصابات التي توالى في أوروبا وسرت عدواها الى مصر ، وقد القى السر ادوارد غراي ناظر خارجية انكائرا خطاباً في تأييد أحد أصحاب المصانع الكبرى بحث فيه عن مركز العمال في الهيئة الاجتماعية تقتطف منه ما يلي اتماماً للفائدة :

« ان الاستياء البادية دلائله بين طبقات العمال ، والذي يظهر حيناً بمظاهر الاعتصاب ، وحيناً بالتذمر من النقابات وزعمائها ، لا يرجع كما يتوهم البعض الى تخرج مركز العمال ، اوسوء مصيرهم ، فان حالتهم وان كانت لا تزال موضوعاً للتحسين ، فانها ارقى بكثير مما كانت عليه منذ خمسين سنة . وعليه فان سبب هذا الاستياء الشرود في عالم الاحلام والآمال والمطامع التي لم يكن يحلم بها عمال الزمان الماضي

فانه كان من المحتم ان ينتج عن مبدأ المساواة السياسية التي سلمنا بها ، مبدأ المساواة الاقتصادية . زادت رواتب العمال وتحسنت طرق تشغيلهم ولكنهم باتوا يتساءلون اذا كانت تلك الزيادة وهذا التحسن بنسبة نقص نفقات الصناعة الحديثة . ثم ان الطبقة العاملة باتت في قلقٍ دائمٍ من حيث استمرار العمل ، لان وقوف الاشغال مدةً من السنة أصبح قاعدة مطردة في كل البلدان

وقد ولد نشر التعليم بين الشعب عاطفة نفور في صدور فتیان العمال من حياة العامل وما فيها من شظف العيش والعناء الجزيل والنصب الدائم وهذه الامور تدلك على اسباب التذمر والاستياء بين العمال بالرغم عن

تحسن مركزهم في الهيئة الاجتماعية . وان جماعة هذه عواطفهم واستعداداتهم
يكونون في كل حين على أهبة التمرد ، بسبب او بلا سبب ، تارة على
رؤسائهم اصحاب العمل ، وتارة على زعمائهم انفسهم

وعليه فيجب ان نحذر من إضغاف النقابات . واذا تركنا الفوضى
تتسرب اليها ، فأننا نكون رفعنا راية اليأس وسرنا وراءها ، لان كل جماعة
لا قائد لها لا يسعها الا التخريب والتدمير

فنحن نريد ان نرى نقابات العمال أقوى مما هي ، لا ان نراها
ضعيفة مضطربة كما يرغب البعض في ذلك . لان قوتها اصبحت اليوم
اكثر لزوماً من كل حين . وهي التي تجعل موازنة في المجتمع الانساني ،
اذ تقف امام قوة رأس المال التي باتت اكثر مقدرة واقل شفقة من الماضي
وقد اتسعت الهوة الفاصلة بين مساهم الشركة الذي ينتظر بفروغ صبر
توزيع حصص الارباح ، وبين العامل الذي يشتغل في هذه الشركة ،
فان الاثنين يعيشان متباعدين وليس ما يقرّبهما . وهذا التباعد مضرّ
بالطرفين . فيجب ان تعود المواطف الانسانية صلة بين كليهما . فلا
الدستور السياسي يحرّر الشعب ، ولا الامتيازات تساعد ، ولا الاملاك
تغنيه ، اذا لم ترسخ في قلبه اخلاق الرجولة والشباب والاستقامة

فلنسع اذن كلنا اغنياؤنا وفقراؤنا ، افرادنا وجماعاتنا لننشيء هيئة
صناعية كبرى يمكننا ان نطالبها كلنا بحقوقنا ولكن نقوم ايضاً كلنا بواجباتنا
نحوها . فتكون جمعية لا يمد العامل فيها حيواناً مأجوراً حتى ولا يداً عاملة
بل عقلاً مفكراً وقلباً شاعراً «
ادوار غراي